تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبا عن الناس فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا ا تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أي تكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت في الصحيحين [سبعة يظلهم ا تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله فذكر منهم رجلا دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف ا ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه] وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا طالوت بن عباد حدثنا الحارث بن عبيد عن ثابت عن أنس قال : [قالوا يا رسول ا إنا نكون عندك على حال فإذا فارقناك كنا على غيره قال : كيف أنتم وربكم ؟ قالوا : ا ربنا في السر والعلانية قال : ليس ذلكم النفاق] لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عبيد فيما نعلمه ثم قال منبها على أنه مطلع على الضمائر والسرائر { وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور } أي بما يخطر في القلوب .

{ ألا يعلم من خلق ؟ } أي ألا يعلم الخالق وقيل معناه ألا يعلم ا مخلوقه ؟ والأول أولى لقوله : { وهو اللطيف الخبير } ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار فقال تعالى : { هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها } أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئا إلا أن ييسره ا لكم ولهذا قال تعالى : { وكلوا من رزقه } فالسعي في السبب لا ينافي التوكل كما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبد ا بن هبيرة يقول : إنه سمع أبا سهم الحبشاني يقول : إنه سمع عمر بن الخطاب يقول : إنه سمع رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [لوأنكم تتوكلون على ا حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا] رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن هبيرة وقال الترمذي : حسن صحيح فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق مع توكلها على ا D وهو المسخر المسير المسبب { وإليه النشور } أي المرجع يوم القيامة قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة : مناكبها أطرافها وفجاجها ونواحيها وقال ابن عباس وقتادة أيضا : مناكبها الجبال وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عمرو بن حكام الأزدي حدثنا شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن بشير بن كعب أنه قرأ هذه الاية { فامشوا في مناكبها } فقال لأم ولد له : إن علمت ما مناكبها فأنت عتيقة فقالت : هي الجبال فسأل أبا

الدرداء فقال : هي الجبال